

أشهر الزاهدات

رابعةُ العدوية — ليلى بنتُ أبي حثمةَ
حفصةُ بنت سيرين — هجيمةُ بنتُ حيٍّ
مُسيكةُ التائبة — أُم زفرَ الأسدية





سلسلة أشهر النساء

٦

أشهر الزاهدات

إعداد

محمد عبد الرحمن عويس

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم التسلسل ٦٠

سورية - دمشق - حلبوني - ص.ب ٢٥٢٣٧

فاكس : ٢٤٥٤٠١٣ ١١ ٩٦٣+ هاتف ٢٤٥٣٦٣٨ ١١ ٩٦٣+

algwthani@scs-net.org



بسم الله الرحمن الرحيم

الدُّنيا لا تُساوي عندَ الله ـ عز وجل ـ جناح بعوضةٍ، لذلك كان الزّهدُ فيها من الأمور الَّتِي يحبُّها الله ـ تبارك وتعالى ـ ورسولهُ ﷺ.

والمسلمُ يأخذُ من الدُّنيا ما هو ضروري لحياتهِ، ويتفرّغُ بعد ذلكَ لمقصدهِ الأسمى الذي خُلِق من أجلهِ، وهذا مصداقٌ لقولِ رسولِ الله ﷺ: «كُن في الدُّنيا كأنكَ غريبٌ أو عابر سبيلٍ» [البخاري].

وقَدْ امتلأ التّاريخُ الإسلامِي في عصورهِ المُختلفة بسير الكثيرِ من الزّاهدينَ والزّاهداتِ، الذينَ اكتفُوا من الدُّنيا بالقليلِ، وعاشُوا حياةَ الزّهدِ والتّقشفِ.

وفي هذا الكتابِ نتعرّفُ على بعضِ الأمثلةِ المشرقةِ مِن النّساءِ الزّاهداتِ ـ رضي الله عنهنَّ ـ.

** ** **

رَابعةُ العدويّةُ

قامتْ في جوفِ الليلِ تدعُو الله ضارعةً وتقولُ: إلهي، أنارتِ النّجومُ، ونامتِ العيونُ، وغلّقتِ الملوكُ أبوابهَا، وهذا مقامِي بين يديكَ، إلهي.. ما أصغيتُ إلى صوتِ حيوانٍ، ولا حَفيفِ شجرٍ، ولا خرير ماءٍ، ولا ترنُّم طَائر، ولا تنعم ظلٍّ، ولا دوِي ريحٍ، ولا قعقعةِ رَعدٍ... إلا وجدتهَا شَاهدة بوحدانيتكَ، دَالةً على أنّهُ ليسَ كمثلكَ شَيءٌ. سَيِّدِي: بكَ تقرّب المتقربونُ في الخلواتِ، ولعظمتكَ سَبَّحَتِ الحيتانُ في البحارِ الزّاخراتِ، ولجلالِ قُدسكَ تصافقتْ الأمواجُ المتلاطماتُ. أنتَ الذي سبّح لكَ سَوادُ الليلِ، وضوءُ النّهارِ، والفلكُ الدّوارُ، والبحرُ الزّخارُ، والقمرُ النّوارُ، والنّجمُ الزّهارُ، وكلّ شيءٍ عندكَ بمقدارٍ؛ لأنّك الله العلي القهارُ.

وذاتَ مرّةٍ.. قالتْ لأبيهَا: ياأبتِ، لستُ أجعلكَ في حلٍّ من حَرامٍ تطعمنيهِ. فقالَ لهَا: أرأيتِ إن لم أجد إلاحَرامًا؟ قالتْ: نصبرُ على الجوعِ، خَيرٌ من أن نصبرَ على النّارِ.

تلكَ هي رابعةُ بنتُ إسماعيلَ العدوّيةُ، وُلدتْ بالبصرةِ لرجلٍ فَقيرٍ صَالحٍ، وماتَ أبواهَا، وتركاهَا صَغيرةً تواجهُ مع أخواتِهَا الثلاثِ صُعوبات الحياةِ. ولمّا حلّ الجفافُ هَاجرَتْ

أخواتُ رَابعةٍ بينمَا أبتْ الهجرة معهنّ فتركنهَا وحيدةً، فوجدهَا اللصوصُ، فأخذوهَا وباعُوهَا لتاجرٍ ثَري، ذَاقتْ تحتَ يدهِ ذلّ الرّقِّ والعبوديةِ. فلمّا علمَ أنَّها تُصلّي طوالَ الليلِ، ذهبَ ليتأكّد من ذلكَ فسمعهَا تدعُو: إلهي أنتَ تعلمُ أنَّ قَلبي يتمنّى طاعتكَ، ونُورَ عَيني في خدمتِكَ، ولوكانَ الأمرُ بيدي لما انقطعتُ لحظةً عن مناجاتِكَ. ولكنّكَ تركتنِي تحتَ رحمةِ هذا المخلُوق القَاسي من عبادِكَ. فرقّ لها فأعتقهَا وأطلقَ سراحهَا.

انصرفتْ رَابعةُ بعدَ ذلكَ للزهدِ والعبادةِ وقراءةِ القرآنِ، وظلّ ذلكَ دأبَها طوالَ عُمرهَا.

وجاءَ أحدُ التّجار يطلبُهَا للزواجِ، فقالَ لهَا: إننِي أربحُ في اليومِ ثمانينَ ألفَ دِرهمٍ وأنَا أخطبُكِ لنفسِي. فقالتْ لهُ: إنّ الزّهدَ في الدّنيَا راحةُ القلبِ والبدنِ، والرّغبة فيهَا تُورثُ الهمّ والحزن. صُمْ دهرَكَ، واجعلْ الموت فطركَ، فما يَسُرُّني أنَّ الله خوّلني أضعافَ ماخولكَ، فيشغلني بهِ عنهُ طرفةَ عَينٍ.

وعندمَا أتى رَجلٌ إليهَا ليعطيهَا أربعينَ دينارًا وقالَ لهَا: تستعينينَ بَها على بعضِ حوائجِك. بكتْ، ثُمَّ رفعتْ رأسهَا إلى السّماءِ وقالتْ: هو يعلمُ أنِّي أستحي منهُ أن أسألهُ الدّنيا

وهو يملكُهَا، فكيفَ أريدُ أن آخذها ممّن لايملكُهَا؟ يَاهذا وما تَرى من سوءِ حَالي؟! ألستُ على الإسلامِ؟! فهوَ العزُّ الذي لا ذُلَّ بعدهُ، والغنى الذي لا فقرَ معهُ، والأنسُ الذي لاوحشةَ معهَ. فقامَ الرّجلُ وهو يقولُ: ماسمعتُ مثلَ هذا الكلامِ. فقالتْ لهُ: إنّما أنتَ أيامٌ معدودةٌ فإذَا ذهبَ يومٌ ذهبَ بعضُكَ، ويوشكُ إذَا ذهبَ البعضُ أن يذهبَ الكلُّ، وأنتَ تعلَمُ فاعمَلْ.

كانتْ رابعةُ العدوّيّةُ تُصلِّي الليلَ، فإذَا طلعَ الفجرُ هَجعتْ في مُصَلاهَا هَجْعَةً خفيفةً حتى يُسفرَ الفجرُ، فتثبُ من مرقدِها وهي فَزعةٌ وتقولُ: يانفسُ كَمْ تنامينَ؟ وإلي كَمْ تقومينَ؟ يوشكُ أن تنامِي نَومةً لا تقومينَ منهَا، إلا لصرخةِ يومِ النّشورِ. ثُمَّ تبكِي وهي سَاجدةٌ فإذَا رفعتْ رَأسهَا يُرى مَوضعُ سُجودِها مُبلّلٌ من دموعِهَا.

قالَ لهَا رجلٌ ذاتَ يومٍ: يَارابعةُ ادعُ لِي! فقالتْ: مَن أنا، يرحمُكَ اللهُ؟!أطعْ ربّكَ وادعهُ؛ فإنّهُ يجيبُ المضطرينَ.

وقالتْ لهَا امرأةٌ: يَارابعَةُ، إني أُحبُّكِ في اللهِ. فقالتْ لهَا: فلاتعصِي وأطيعِي مَن أحببتِني فيهِ.

عاشتْ رابعةُ حتى صَارتْ عَجوزًا كبيرةً لها ثمانونَ سَنَةً، وكانتْ من زهدهَا في الحياةِ أن بدتْ ضعيفةً تكادُ تسقطُ على الأرضِ وهي تمشِي. وكانَتْ تضعُ أكفانهَا أمامهَا، فإذَا ذُكرَ الموتُ انتفضتْ وأصابتهَا رَعدةٌ.

وحينَ قَرُبَ موتُهَا قالتْ لخادمتهَا عَبدة: ياعَبدةُ لاتُؤْذِنِي بموتِي أحدًا (أي لا تُخبريه)، وكَفِّنِينِي في جُبَّتي هذهِ وفي خِماري الصّوفِ؛ ليكملَ لي بهمَا ثوابي يومَ القيامةِ.

وتوفيتْ في سَنَة مئةٍ وخَمسٍ وثلاثينَ من الهجرةِ وعمرُها ثَمانونَ عَامًا. وقبرُها يقعُ بظاهرِ القدسِ.

ومِن أقوالِهَا المأثورةِ:

* أَستغفرُ الله من قلةِ صِدقي في قَولِي: أستغفرُ الله.

* كُلُوا خبزَ الدّنيَا واعملُوا للآخرةِ.

* * *

لَيلى بنتُ أَبي حَثمة

هي لَيلى بنتُ أَبي حثْمَة بن حُذيفةَ بن غَانم بن عَامر بن عَبدالله، سَيدةٌ من نساءِ الإسلامِ الخالداتِ اللاّتي تحملنَ من أجلهِ كلّ مكروهٍ كي ترتفعَ رايتهُ، ويسعدَ بظِلهِ كلُّ إنسانٍ على ظهرِ الأرضِ لما فيهِ من نجاةٍ وسعادةٍ.

عرفتْ حقيقةَ الإسلام وعظمتَهُ، فضحَّتْ من أجلهِ بكلِّ غالٍ ونفيسٍ. فقدْ أسلمتْ وجهَهَا للَّهِ، وبايعتْ النّبي ﷺ، وهاجرتْ مع زوجِهَا إلى أرضِ الحبشةِ الهجرتين الأُولى والثّانية، ثم هاجرتْ إلى المدينةِ، واشتهرتْ بالزّهدِ والعبادةِ.

ويُروى أنَّها لما أقدمتْ على الهجرةِ مع زوجِهَا عَامرِ بن ربيعةَ، وتوجّها معًا صَوب الجَنوب نَحو الحبشةِ، قابلهما عُمرُ ابنُ الخطّابِ ـ وذلكَ قبل أن يُسلم ـ فقالَ لهمَا: إنه الانطلاقُ ياأُمّ عَبدالله، فقالَتْ لهُ بلاخَوفٍ ولاتردّدٍ: نَعم والله لنخرجنّ في أرضِ الله، آذيتمُونا وقهرتمونَا؛ حتى يَجعلَ الله لنَا مَخرجًا. فقالَ عمرُ: صَحبكم الله. ثم انصرفَ، فقالَتْ لزوجهَا: ياأبا عَبدالله، لورأيتَ عُمرَ آنفًا ورِقَّتهُ وحزنهُ علينا! قالَ: أطمعتِ في إسلامهِ؟ قالتْ: نَعم، قال: فلا يُسلم الذي

رأيتِ حتى يُسلمَ حِمَارُ الخطّابِ [ابن حجر في الإصابة]. ولقَدْ قالَ أبوعَبدالله ذلكَ؛ لما كانَ يَرى في عُمر وغيره من المشركينَ من الغلظةِ تجاه المسلمينَ الجُددِ، لكنَّ الله ـ سبحانهُ وتعالى ـ يَهدي مَن يشاءُ مِن عباده إلى الإسلامِ ونوره. وينتزعُهُمْ من شِراكِ الظلمةِ والكفرِ، وأسلمَ عُمر بنُ الخطّاب وأصبحَ يَغارُ على الإسلامِ والمسلمينَ وكرَّس حياتهُ في خدمةِ هذا الدّينِ.

وذاتَ مرّةٍ.. سمعَ رسولُ الله ﷺ السّيدة لَيلى ـ رضي الله عنهَا ـ تُنادِي ابنهَا عَبدالله بن عَامرٍ وهو طفلٌ فقالتْ: هاكَ، تعالَ أعطيكَ. فقالَ لها النّبي ﷺ: «وما أردتِ أنْ تُعطيه؟». قالتْ: أُعطيهِ تَمرًا. فقالَ النّبي ﷺ: «أمَا إنكِ لولمْ تعطيه شَيئًا كتبتْ عليكِ كَذبةً» [أبو داود وأحمد]. وهكذَا كانَ رسولُ الله ﷺ يعلِّم أصحابَهُ، ولاسيّما أمامَ الأطفالِ؛ لكي تَنشأ عندهُمْ الأخلاقُ الإسلاميةُ السّاميةُ، فأَعطى للمرأةِ درسًا في معاملةِ أولادِها بالصّدقِ، كمَا كانتْ هذه الصّحابيةُ ـ رضي الله عنهَا ـ نموذجًا للمسلمةِ الصّادقةِ مع أولادِهَا.

* * *

حَفصةُ بنتُ سِيرينَ

كانَ ذِكْرُ الموتِ لايفارقُهَا، فهي تعلمُ أنّ الدّنيا أيامٌ معدودةٌ، فإذَا ذهبَ يومٌ فقد ذهبَ بعضهَا؛ لذا كانتْ تتوقعُ الموتَ في كلّ لحظةٍ، حتى روِي أنَّها كانتْ تحتفظُ بكفنٍ دائمٍ لهَا هو جُزءٌ مِن ملابسِهَا فإذَا حجّتْ وأحرمتْ لبستهُ، وإذَا جاءتْ الأيامُ العشرةُ الأخيرةُ من رمضانَ لبستْهُ تقيمُ فيهِ.

كانتْ حَفْصَةُ بنتُ سِيرين عابدةً زاهدةً، أمضتْ شبابهَا في عِبادةٍ وتقوَى، وكانتْ تقولُ: يامعشرَ الشّبابِ! خذُوا من أنفسكُمْ وأنتم شَبابٌ، فإنِّي رأيتُ العملَ في الشّبابِ.

وقَدْ قَرَأَتِ القرآنَ الكريمَ، وتدبرتْ معَانيه وعمرُهَا اثنتا عَشرة سَنةً، وكانَ أخوهَا «مُحمّدُ بن سيرينَ» إذَا استشكَلَ عليهِ شَيء منهُ قالَ: اذهبُوا إلى حَفصة، واسألوهَا كيفَ تَقرأ؟

واشتهرَتْ حَفصةُ بالزّهدِ، والصّبرِ الجميلِ على طاعةِ الله وعبادتهِ، وكانتْ كثيرةَ الصّيامِ، طويلةَ القيامِ، تدخلُ مسجدهَا تُصلّي فيهِ، وتتعبدُ بقراءةِ القرآنِ، ولاتخرجُ من بيتِهَا إلا لحاجةٍ أولمقابلةِ مَن يأتونَ ليستفتونهَا، ويتعلمونَ منهَا.

وكانتْ محدِّثةً جليلةً، نشأتْ في بيتِ علمٍ، وكانَ لهَا ستّةُ إخوةٍ غيرهَا، كُلهم يقرؤونَ القرآنَ، ويشتغلونَ بالحديثِ.

وكانتْ حَفصةُ تحبُّ العلمَ، وتبذلُ في سبيلهِ كلَّ غالٍ ونفيسٍ؛ لأنّها تَعْلَمُ أنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ، كما عُرِفتْ حَفصةٌ بشدةِ تمسكِهَا بتعاليمِ الإسلامِ الحقّةِ، وطاعتَها للَّهِ ولرسولِهِ؛ فقَدْ رُوي أن سُفيان بن عُيينة بن عَاصمٍ قالَ: كنّا ندخلُ على حَفصةَ بنتِ سِيرين، وقَدْ جعلتِ الجلبابَ هكذا وتنقّبتْ بهِ (أي: لبسته)، فنقولُ لهَا: رحمكَ الله، قالَ الله تعالى: ﴿وَٱلْقَوَاعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ هو الجلبابُ، قالَ: فتقولُ لنَا:أي بعد ذلكَ؟ فنقولُ: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ [النّور:٦٠]. فتقولُ: هو إثباتُ الجلبابِ.

وكانَ لهَا باعٌ كبيرٌ في روايةِ الحديثِ النّبوي، فَقْد رَوَتْ عن أخيهَا يحيى وعن غيرِهِ، وروي عنهَا الكثيرُ.

وتُوُفيتْ حَفصةُ في العامِ الثّاني والتّسعينَ من الهجرةِ، وقيلَ: الحادِي بعد المئةِ، وقدْ بلغتْ من العمرِ سبعينَ عَامًا.

* * *

هجيمةُ بنتُ حَيي

هي هجيمةُ بنتُ حَيي الوَصَّابي من قبيلةِ حِميرَ في دِمشق، حَفظتْ القرآنَ وهي صغيرةٌ. ولقّبتْ بأُمّ الدّرداء الصُّغرى، تزوّجتْ من الصّحابّي المشهورِ أبي الدّرداء، وقَدْ سَمعت الحديثَ عن زوجهَا، وعن أَبي هريرةَ، وعَائشةَ. وكانتْ زاهدةً فقيهةً ومحدّثةً وتابعيةً.

كانتِ النّساءُ تأتي لتتعبدَ عندها، ويقمنَ الليلَ معهَا كلّه، فإذَا ضعفنَ عن القيامِ في صلاتِهنَ تعلقنَ بالحبالِ.

ولم تَغْفَلْ عَن ذِكْر الموتِ يَومًا، قالتْ لشخصٍ تعظهُ: هَلْ تدرِي مايقولُ الميتُ حينَ يُوضعُ في قبرِه؟ يقولُ: ياأهلي.. ياجِيراني.. ياحَملةَ نَعشي.. لاتغرّنكم الدّنيا كما غرتنِي.

وكانتْ سائرةً ذاتَ يومٍ، فمرّتْ على مكانٍ يُسمّى وادِي جَهنّم، فقالتْ لقائدهَا: اقرأ شيئًا من القُرآنِ. فتلا قولهُ تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]. فلمّا سمعتهَا بكتْ، وقالتْ لهُ عندمَا مرّت على الجبالِ في طريقها: أسمع الجبالَ ماوعدها الله. فقرأَ قولهُ تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ [الكهف: ٤٧]. فأخذتْ تبكِي بشدةٍ.

وكانتْ تحثُّ النّاسَ على العملِ وعدم الرّكون والتّواكلِ؛ فتقولُ لهُمْ: مَا بالُ أحدِكُمْ يقولُ: اللهمّ ارزقنِي، وقَدْ علمَ أنَّ الله لا يُمطرُ عليهِ من السّماءِ دَنانيرَ ولا دَراهم، إنّما يرزقُ الله بعضكمْ مِن بعضٍ، فمَن أُعطي شيئًا فليقبلهُ، وإن كانَ غنيًا؛ فليضعهُ في ذوي الحاجةِ من إخوانهِ، وإن كانَ فقيرًا؛ فليستعنْ بهِ على حاجتهِ، ولا يردّ على الله رزقهُ الذي رزقهُ.

قالَ لهَا زوجُهَا ذاتَ مرّةٍ: إذا غضبتِ أرضيتُك، وإذَا غضبتُ أرضيني؛ فإنكِ إن لَمْ تفعلِي ذلكَ فما أسرع أن نفترقَ. وقالتْ عندَ موتهِ: اللهمَّ إنّ أبا الدّرداء خَطبني إلى أبوي فتزوّجني في الدّنيا، اللهمَّ فأنَا أخطبهُ إليكَ، فأسألكَ أن تزوجنيهِ في الجنّةِ. فقالَ لهَا زوجُهَا: فإنْ أردتِ ذلكَ فكنتُ الأوّلَ، فلا تتزوجِي بعدي. وكانتْ أُمّ الدّرداءَ ذاتَ جمالٍ وحَسبٍ، فخطبَها مُعاويةُ فأبتْ، وقالتْ لهُ قصتهَا، فقالَ: عليكِ بالصّيامِ. ومِن أقوالهَا: «أفضلُ العلمِ المعرفةُ». وقالَتْ: «تعلمُوا الحكمةَ صِغارًا تعملُوا بَها كبارًا». وقَدْ طالَ عُمرهَا حتى سَنة ٨١ من الهجرةِ.

* * *

مُسيكةُ التّائبةُ

كانَتْ السّيدُة مُسيكةُ ـ رضي الله عنها ـ جاريةً لعبدِ الله ابنِ أُبي بن سَلولٍ ـ رأسِ النّفاقِ في المدينةِ ـ، فأسلمتْ وبايعتْ النّبي ﷺ على ألاتُشركَ بالله شيئًا، ولاتَسرقَ ولاتَزني ولاتَقتلَ أولادهَا، ولا تَأتي ببهتانٍ تفتريهُ بين يديهَا ورجليهَا، ولاتَعْصيهِ في معروفٍ. وذلكَ مصداقًا لقولهِ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٢].

وكان البِغاءُ من عاداتِ الجاهليةِ المرذُولة، حيثُ كَانَ الرّجلُ يدفعُ بجواريهِ وإمائهِ إلى رَاغبي المتعةِ ومبتاعِي الرّذيلةِ رَجاء الكسَب وابتغَاء المال.

وذاتَ يومٍ.. أرادَ عَبدُ الله بن أُبي أن يدفعَ بجاريتهِ المُسلمة مُسيكةَ ـ رضي الله عنهَا ـ إلى تلكَ السّبيلِ المرذولةِ، لكنَّ المسلمةَ العفيفةَ رفضتْ ذلكَ، وذهبتْ إلى رَسُولِ الله

ﷺ تشكُو إليهِ حالَها، فاستمعَ النّبي ﷺ إليهَا وقدَّر فيهَا عفتهَا، وحمدَ إليهَا صبرهَا.

ثُمَّ ما لبثَ أن نزلَ على رسولِ الله ﷺ قولُ الله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [النّور: ٣٣ ـ ٣٤].

فأبطلَ الإسلامُ هذا الأمرَ من أمورِ الجاهليةِ، وحمَى النّساءَ ـ حرائرَ وإماءً ـ من أن يُكرههنَّ أحدٌ على البغاء.

وهكذا أسهمتْ هذه الصّحابيةُ الجليلةُ، «مُسَيْكَةُ» التّائبةُ، في تثبيتِ دَعائمِ الفضيلةِ وصَناعةِ مُجتمعٍ عَفيفٍ برفضِها أن تكونَ أداةً طيعةً في أيدي العابثينَ والماجنينَ من أصحابِ النّفوسِ الدّنيئةِ والأخلاقِ المترديّة، وصَارتْ بذلكَ رَمزًا للعفةِ والطّهرِ، ومثلاً لنظافة النّفسِ ونقاءِ الطّويّة، ويكفيهَا عزًّا وفخرًا أن ينزلَ في شَأنهَا قُرآنٌ يُتلى إلى يوم القِيامةِ.. رضي الله عن العفائفِ والطّاهراتِ وعن السّيدةِ مُسَيْكَة.

* * *

أُمُّ زُفَرَ سُعَيْرةُ الأَسديَّةُ

المرضُ ابتلاءٌ من الله ـ عزَّ وجلَّ ـ واختبارٌ لعبادهِ. مَن يصبرُ عليهِ يُعطيه الله أجرًا عَظيمًا؛ وذلكَ مِصداقًا لقولِ النَّبي ﷺ: «مَا يُصيبُ المسلمَ من نصبٍ ولا وصبٍ(مرضٍ) ولا همٍ ولاحزنٍ ولا أَذًى ولا غَمٍّ حتى الشّوكة يُشاكهَا إلا كفَّر الله بهَا من خَطَاياهُ» [متفق عليه]. وقَدْ ضَربتْ هذه الصّحابيةُ الجليلةُ المثلَ الأَعلى في الصّبرِ على المرضِ، فَقَدْ جاءَ عن ابن عبّاسٍ ـ رضي الله عنهمَا ـ قالَ لعَطاء: أَلا أريكَ امرأةً من أهْلِ الجنّة؟ فقالَ عَطاءٌ: بَلى. قالَ ابنُ عبّاس: هذهِ المرأةُ السّوداء، أتتِ النّبي ﷺ فقالتّ: إنِّي أُصْرَعُ وإني أتكشَّفُ فادعُ الله لي. فقال النّبي ﷺ: «إن شئتِ صَبرت ولكِ الجنّة، وإن شئتِ دعوتُ الله أن يعافيكِ» فقالَتْ: أصبِرُ، وقالتْ: إنِّي أتكشَّفُ، فادعُ الله لي ألا أتكشَّفَ، فدعا لها النّبيُّ ﷺ.[متفق عليه]. فحقَّق الله رجاءَها، فكانَتْ نوبةُ الصّرعِ لا تنتابُها إلّا وهي نَائمةٌ متمكنةٌ، فلا تتكشَّفُ. كانَتْ الصّحابيةُ الجليلةُ سُعَيْرَةُ الأسدّيةُ من الحبشةِ، وقَدْ عُرفتْ بأم زُفَر رضي الله عنهَا، وكانَتْ تَرعَى حقَّ الله فِي نَفسِهَا، وتحرصُ على تعاليم دِينِها، ومعَ أنَّهَا

كانَتْ مريضةً بالصّرعِ فإنَّهَا لم تيأسْ أبدًا من رحمةِ الله ـ سبحانَهُ ـ، وحينَ خُـيِّرتْ بينَ الدّعاءِ لهَا بالشّفاءِ وبين الجنَّةِ؛ اختارتْ الجنَّةَ، ولكنَّهَا طلبتْ من النّبي ﷺ ألا تتكشَّفَ؛ لأنَّها ربيتْ في مدرسةِ العفةِ والطّهارةِ؛ مدرسةِ الرّسولِ ﷺ، وراعتْ حقَّ الله حِين قالَ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النّور: ٣١].

وَقدْ اشتهرتْ السّيدةُ أُمّ زُفَر ـ رضي الله عنهَا ـ بزهدِهَا الشّديدِ في الدّنيا، فكانَتْ تكتفِي بالقليلِ من ضَروراتِ الحياةِ، وتكثرُ من الصّلاةِ، وقراءةِ القرآنِ، والتّضرع لِلّهِ عزَّ وجلَّ، ولذلكَ كانَ الرّسُولُ ﷺ يُثني عليهَا، ويعرفُ لهَا قدرَهَا.

** ** **

سلسلة أشهر النساء

١ - أمهات المؤمنين
٢ - أمهات النبي ﷺ
٣ - بنات النبي ﷺ
٤ - أشهر النساء
٥ - أشهر الشهيدات
٦ - أشهر الزاهدات
٧ - أشهر الخطيبات
٨ - أشهر المجاهدات
٩ - أشهر الفقيهات
١٠- أشهر الشاعرات

٨١٠٠٥٧